فجر الهدى والإيمان

صحابيات حول الرسول صلى الله عليه وسلم

خديجة بنت خويلد

أم المؤمنين رضي الله عنها

أول امرأة دخلت في الإسلام

إعداد : زهير مصطفى بازجي

مراجعة : يوسف عساني

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم العربي بحلب ولايجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر .

مَنْشُورَاتُ
دَارِ الْقَلَمِ الْعَرَبِيِّ بِحَلَب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

عنوان الدار
سورية - حلب - خلف الفندق السياحي
شارع هدى الشعراوي
هاتف ٢١٣١٢٩ - ص.ب: ٧٨ - تلكس: ٣٣١٦٩٢ ريفكو

خديجة بنت خويلد

ولادة خديجة

خديجة بنت خويلد بن أسد ... أم المؤمنين ، الطاهرة ، النقية ، الورعة . وُلدت قبل عام الفيل بخمسةَ عشرَ سنةً ، ونشأت في بيت مجدٍ وعزٍّ وسؤددٍ . وكانت ذات مال كثير وجمال وافر ، تستأجر الرجال في مالها .

صدق وأمانة النبي صلى الله عليه وسلم

سمعت السيدة خديجة رضي الله عنها ، بصدق حديث محمد ، صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة – وأمانتهِ ، وحسنِ أخلاقهِ ، فرغبت أن يسافر في تجارتها مع غلامٍ لها ، يقال له : مَيْسرَة ، فوافق محمدٌ ، صلى الله عليه وسلم . وسافر مع ميسرة في تجارة إلى بلاد الشام .

وفي الطريق كانت عناية الله لرسوله المرتقب ، وأثناء فترة استراحة تحت ظلِّ شجرة قريبا من صومعة راهب ، خرج الراهب ليرى النور في وجه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فقال :

– منْ هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة ؟ فوالله مانزل تحت هذه الشجرة إلا نبي .

فلما قفل محمد ، صلى الله عليه وسلم عائدا إلى مكةَ ، وقد ربحت تجارته أضعاف ماكانت تربح ، قدِمَ ميسرةُ على خديجة وأخبرها ماحصل لهما في الطريق ، وماقاله الراهب .

مكانتها

وكانت رضي الله عنها امرأةً حازمة لبيبة شريفة ، مع ماأراد الله من إكرامها ، فبعثت إلى محمد ، صلى الله عليه وسلم وقالت :

– إني رغبت فيكَ لقرابتِكَ وشرفِك في قومِك ، وأمانتِك عندَهُم ، وحُسْنَ خلقِك ، وصِدْقَ حديثِك .

زواجها

فذكر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ذلك إلى أعمامه ، فخرج عمه حمزة بن عبد المطلب ، فخطبها من أبيها الذي سرعان ماوافق وقال:

– نِعْمَ(١) الزوج ، فما رأينا محمدا إلا خير فتيان قريش ، وأصدقهم حديثا ، وأكثرهم أمانة ، وأحسنهم خلقا .

---

(١) نِعْمَ : فعل ماض لإنشاء المدح .

ولم تكن خديجة رضي الله عنها تضجر من عادةٍ دَرَجَ عليها زوجها ، وهي أنه كان يذهب إلى غار حراء ، ليفكّرَ في ملكوت الله وعظمة خلقه ، وليبتعد عنْ أجواء مكة الفاسدة ، بل كانت تعينه وتشدُّ من أزره ، وتثبّتُ قلبه ، وتخفف عنه الروْع(١) ، وتسانده في تحمُّل الأذى .

﴿ نزول الوحي ﴾

وفي غمرة مناجاته لربه ، صلى الله عليه وسلم ، نزل الوحي عليه قائلا له جبريل عليه السلام :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ... ﴾(٢)

فأخذ يرجفُ فؤاده وأسرع إلى خديجة رضي الله عنها قائلا :

– " زملوني ، زملوني " .

وما إن ذهب عنه الروع حتى قال لخديجة :

– لقد خشيت على نفسي ياخديجة .

فقالت خديجة رضي الله عنها :

---

(١) الروع : الخوف .

(٢) الآية الأولى من سورة العلق .

– كلا والله لايخزيك الله أبدا ، إنك لتصلُ الرَحِم(١) ، وتحملُ الكلَّ(٢)، وتكسب المعدوم ، وتقري(٣) الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

وروى محمد صلى الله عليه وسلم ماكان قائلا :

– فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول:

– يامحمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل .

قال محمد ، صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها :

– " رفعت رأسي إلى السماء ، فإذا جبريل في صورة رجلٍ صافٍ ، ووقفت أنظر إليه فما أتقدم ولاأتأخر ، حتى بعثْتِ رُسُلَكِ في طلبي .

﴿ وقوفها إلى جانب زوجها ﴾

فقالت له خديجة رضي الله عنها :

– أبشر ياابن عم ، واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة . ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، وانطلقت إلى ابن عمها وَرَقَة بن نوفل ، وكان قد تنصّر في الجاهلية ، فأخبرته بما أخبرها به محمد ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الرحِم : الأقارب .

(٢) الكلّ : من لاولد له ولاوالد .

(٣) تقري : تطعم .

فقال ورقة بن نوفل :

– قُدّوس ، قُدّوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنْتِ صدقْتِني ياخديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر ، الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة . وقولي له : فليَثْبُتْ .

وحزنت خديجة الوفية الصالحة المخلصة عندما قال ورقة بن نوفل لزوجها النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم :

– والله لتُكَذبنَّ ، ولتُؤذينَّ ، ولتخرجنَّ ، ولتقاتلنَّ ، ولئنْ أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرَنَّ الله نصرا يعلمه .

أول امرأة أسلمت

ولكن إلى جانب حزنها وجزعها ، كانت قوية شديدة الإيمان ، واثقة من زوجها ومابعثه الله من أجله ، فكانت رضي الله عنها أول من آمن بالله ورسوله ، وصدّق بما جاء . فخفّفَ الله بذلك عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ كان لايسمع شيئاً يكرهه من ردٍّ عليه أو تكذيبٍ له ، إلا فرّج الله عنه بها .

وكانت خديجة رضي الله عنها تخشى على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من أَنْ يصيبه مكروه ، فكانت حذرة من أيِّ إنسان يسألها عنه ، وحَدَثَ أنها كانت ذاهبةً إليه في غار حراء تحمل غذاءه ، فلقيها جبريل في صورة رجل ، فسألها عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ،

فهابَتْهُ، وخشِيَتْ أن يكون بعضَ مَنْ يريد أن يغتالهُ . ولما ذكرت ذلك لزوجها قال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

– هو جبريل وقد أمرني أن أقرأ عليك السلام .

فقالت خديجة رضي الله عنها :

– عليه وعلى رسول الله السلام .

﴿ الأم الحنون ﴾

وتهبُّ أنسام عليلة فوق البيت المحمدي ، وتتعالى فيه تسابيح وأدعية ، وتطير فوقه أطيار الفرح والبهجة ، وترفرف فيه أجنحة الطفولة. فقد أنجبت خديجة بنتاً عزيزةً هي زينب ، ويحملها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ودموع الشكر والحمد لله عز وجل الذي وهبه هذه النعمة ، تسبلُ من عينيه ، بعد أن حزن حزناً شديداً على فراق القاسم الذي اختطفته يدُ المنون(١) وهو مازال صغيرا . وبعد سنوات يصبح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم أباً لرُقيّة وأم كلثوم وعبد الله الذي توفي صغيرا وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين ، فكانوا خيرَ ذرية من خير أب وأم على وجه الأرض ، وكان من حبها رضي الله عنها لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم أن رأته يميل إلى زيد بن حارثة

---

(١) المنون : الموت .

الذي كان في ملكها ، فوهبته له ، فكانت هي السبب فيما امتاز به زيدٌ من السبقِ إلى الإسلام .

وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يبادل خديجة الحبَّ والودَّ حتى أنه بشرّها ببيت في الجنة من قصب ، لاصخب فيه ولانصب(١) .

وأي شرف عظيم هذا الذي تحظى به سيدة العالمين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، بل هي سيدة أهل الجنة ، يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

– " أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون " .

وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم يُثني على خديجة ، ولايكاد يخرجُ من بيته حتى يذكرها ، ويحسن الثناء عليها .

وفي إحدى خلواته ، صلى الله عليه وسلم مع زوجته رضي الله عنها ، قالت خديجة :

– ياابن عم ، هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك الذي يأتيك إذا جاءك ؟

قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : " نعم " .

فبينا هو عندها إذ جاءها جبريل ، فصدّقت به وقالت :

---

(١) النصب : التعب .

– ماهذا شيطان ، إنّ هذا لملكٌ ياابن عم . فكان من كرامتها أن جبريلَ عليه السلام لم ترهُ من نساء الرسول إلا خديجةَ ، ولم يقرئ سلامه إلا لخديجة ، ولم ينزل على أحد من نسائه إلا على خديجة رضي الله عنها وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

أذى المشركين

وواجه المشركون دعوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بالنكران ، وصدّوا عن دينه إلا نفر قليل منهم ، لابل أخذوا يعذبونه هو وأصحابه ، علّه يرتد عن دينه الذي جاء به ، ولم يوفروا أي وسيلة في سبيل إيقاف دعوته للدين الإسلامي الحنيف الذي سفَّه أحلامهم ، وزجرهم عن عبادة الأوثان التي لاتضر ولاتنفع . ودعاهم إلى عبادة إله واحد لاشريك له .

ولم تكن خديجة رضي الله عنها بعيدة عن هذه الأحداث ، بل كانت إلى جانب زوجها العزيز تشدُّ من أزره وتُعينه على تحمل أذى المشركين .

واشتدّ أذى المشركين للرسول ، صلى الله عليه وسلم عندما لم تفلح كل السبل في صدِّه عن دينه ، ففرضوا الحصار عليه وعلى أصحابه، الذي دام ثلاث سنوات لم يأتيهم خلالها شيء من الطعام إلا اليسير ، حتى أنهم اضطروا أن يأكلوا أوراق الشجر وكل شيء رطب .

وكانت خديجة رضي الله عنها مع زوجها تواجه الجوع والعطش ، ولم تكن تتركه لحظة ، خوفا عليه ، عليه الصلاة والسلام ، وآثرت أن تترك بيتها لتخفف عن النبي ، صلى الله عليه وسلم العذاب والأذى .

وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، يواجهون الحصار بقوة وصلابة ، وبعزيمة لاتلين ، وبإيمان بالله ورسوله لايتزعزع .

عام الحزن

وتفاقمت النوائب والمصائب على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقد تُوفي عمُّهُ أبو طالب دِرْعه الذي يحميه ويردُّ عنه أذى المشركين . وبعده بمدة يسيرةٍ تُوفيت السيدة الطاهرة خديجةُ بنت خويلد عن خمس وستين سنة ، بعد أن عاشت خمسا وعشرين سنة . وكان ذلك في رمضان من السنة العاشرة للبعثة النبوية وقبل الهجرة بثلاث سنين .

ونزل النبي دامع العينين في قبرها – ولم تكن قد سُنَّتِ الصلاة على الجنائز – ودفنت رضي الله عنها في الحجون بمكان قرب مكة .

ولم يبق له من سند يعينه ، عليه الصلاة والسلام سوى الله عز وجل الذي شاءت إرادته أن ينتصر المسلمون ، وينتشر دين الإسلام في بقاع الأرض رغم أنفِ المشركين .

الزوج الوفي

وكان الزوج الوفي ، عليه الصلاة والسلام يعودُ(١) زوجته في مرضها الذي ماتت فيه ، ويحاول تسكين آلامها والتخفيف عنها ، فقال لها مرةً:

– " بالكُرْهِ مني ماثبت عليك ياخديجة، وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا ، أما علمت أن الله تعالى زوجني معك في الجنة ، مريم بنت عمران ، وكلثم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون ؟ " .

فقالت خديجة رضي الله عنها :

– وقد فعل ذلك يارسول الله ؟ .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

– نعم بالرفاء والبنين .

حب النبي لخديجة

وكانت خديجة رحمها الله أحب زوجاته إليه ، فكان يذكرها ويكثر من ذكرها حتى بعد مماتها ، قالت خولة بنت حكيم خادمة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

---

(١) يعود : يزور .

– يارسول الله ، كأني أراك قد دخلتك خُلّةٌ(١) لفقدِ خديجة .

فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم :

– " أجل ، كانت أم العيال وربة البيت " .

وخُشِي على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من الهم والحزن الذي أصابه بعد موت خديجة ، حتى تزوج عائشة رضي الله عنها ، التي كانت تغار من خديجة على الرغم من أنها لم تجتمع معها في بيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكانت تقول له عليه الصلاة والسلام :

– هل كانت خديجة إلا عجوزا ، قد أبدلك الله خيرا منها .

فغضب رسول الله ثم قال :

– " لا والله ماأبدلني الله خيرا منها : آمنتْ إذْ كفر الناسُ ، وصدّقتني إذْ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذْ حرمني الناس ، ورزقني منها الله الولَدَ دون غيرها من النساء " .

فقالت عائشة رضي الله عنها :

– فقلت في نفسي ، لاأذكرها بعدها بسُبَّة أبدا .

وتتابع عائشة رضي الله عنها حديثها عن خديجة رضي الله عنها وغيرتها منها ، فتقول :

– كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة ، يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صديقات خديجة .

---

(١) الخلة : اضطراب العقل .

فقلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة !! .

فيقول نبي الله ، صلى الله عليه وسلم :

– " إنها كانت ، وكانت ، وكان لي منها ولد " .

فضلها

كان فضل خديجة رضي الله عنها على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم واضحا جليا ، فهي آثرتْهُ وفضّلَتْهُ على كل الرجال ، إذ كان يطمع بها كل الرجال ، وذلك لما عرفت عنه من صدق وأمانة وحسن خلق .

فآزرته منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي عليه ، وثبّتت جنانَه(١) ، وهدّأت من روعه ، وبعثت السكينة والطمأنينة فيه ، فكانت أول من آمن به وصدّق رسالته السماوية ، وكانت رضي الله عنها تحزن لحزنه وتفرح لفرحه ، تقف إلى جانبه في السراء والضراء وفي الأفراح والأتراح.

وفوق هذا وذاك ، كانت رضي الله عنها أم أولاده ، والمرأة الوحيدة التي رزق منها الولد(٢) فكان لها (كما ذكرت) منه عليه الصلاة والسلام :

---

(١) جنانه : قلبه .

(٢) أنجب رسول الله / إبراهيم / من مارية القبطية فمات صغيرا .

- القاسم ، وبه كان يكنى ، صلى الله عليه وسلم .
- وزينب ، التي تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع .
- ورقية ، التي تزوجها عتبة بن أبي لهب ، ثم طلقها فتزوجها عثمان بن عفان .
- وأم كلثوم ، التي تزوجها عتيبة بن أبي لهب ، ثم طلقها فتزوجها عثمان بن عفان بعد أن ماتت رقية .
- وعبد الله ، الذي كان يلقّب بالطيّب والطاهر ، وتوفي صغيرا .
- وأخيرا فاطمة الزهراء ، والتي تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

خاتمة

نَعَمْ ، هذه هي أسرة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأَنعِمْ(١) بها من أسرة ، أسرةٌ ليست ككل الأسر . أسرة انطلق منها نور الإيمان، الذي سطع ضياؤه على كل البشر ، فأنار دروبهم ، ورسم لهم معالم الطريق القويم ، وأنقذهم من براثن الجهل والوثنية ، وانتشلهم من عالم التشتت والضياع إلى عالم الحقيقة والإيمان بالله الواحد الأحد وبرسوله ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أنعِم : فعل ماض لإنشاء المدح ، جاء بصيغة الأمر .

وكيف لاتكون خيرَ أسرة على وجه الأرض ؟ وربُّ هـذه الأسـرة الكريمة هو نبيُّ هذه الأمة ، وأول خلـق الله وخـاتم الأنبيـاء ، صلـى الله عليه وسلم وزوجته خديجة بنت خويلـد ، الطـاهرة ، التقيـة ، العفيفـة ، المؤمنة ، سيدة نساء أهل الجنة .

اللهمّ يسّر لنا سبل الاقتداء بهـذه الأسـرة ، فقـد كـانت ومـازالت أسوةً(١) حسنةً لكل الأسر .

---

(١) أسوة : قدوة .